

حوار هادئ مع فلان

في حكم دعاء الأموات

كقول: (يا حسين أغثني) و(يا رسول الله اشفع لي واغفر لي)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فهذا حوار هادئ مع فلان في حكم دعاء الأموات وقول: (يا حسين أغثني)، و(يا رسول الله اشفع لي).

قال فلان: ما معنى الدعاء؟

والجواب: أنَّ الدعاء رحمة الله هو النداء المقرون بطلب من الأعلى رتبةً

ومنزلةً.

كما قال تعالى: ﴿هَناكَ دعا زكريا ربه قال ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة

إنك سميع الدعاء﴾.

وبين حقيقة هذا الدعاء فقال: ﴿إذ نادى ربه نداءً خفياً﴾.

فجمع دعاءه ثلاثة أوصاف:

-النداء. -والطلب. -وأنَّ المتوجَّه له بذلك أعلى منه منزلة ورتبة.

قال فلان: هل الدعاء بهذا المعنى عبادة؟

-نعم رحمك الله، والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو

العبادة".

وقول الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن

عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

فجعل الذي يترك دعاءه، مستكبراً وتاركاً لعبادته، فيُفهم منه: أن الذي

يدعوه فإنه يعبدّه.

فإذا دعوت الله يعني عبدت الله، وإذا دعوت غير الله يعني عبدت غير الله.

فكيف إذا اقترن به رفع الأيدي والخضوع والابتهال والجثو على الركب

واعتقاد خصائص الربّ في المدعوّ كالسمع العام المحيط بالخلق وإجابة الدعوات

والحوائج ونحوها.

قال فلان: يعني دعاء غير الله بهذا المعنى ممنوع؟

-نعم رحمك ربي فإن الدعاء قد أمرنا الله أن نخصّه به.

منها قوله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾، وهذا أسلوب عربيّ يفيد الشمول والعموم لكلّ أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وعلم الله نبيه أن يقول: ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا﴾.

وكلمة: (إنما) تفيد الحصر.

بل حتى لو كان المرء حاضراً أمامك وهو يقدر على تنفيذ الحاجة فإنّ النبي علمنا فقال: "إذا سألت فاسأل الله"، ومما بايع به الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئاً، وإن كان سؤال الحي الحاضر القادر ليست هي القضية التي نحن بصدد الحديث عنها. فكيف إذا كان الأموات لا يملكون ولا يستجيبون وهم في أنفسهم لله مفتقرون عابدون.

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربّك كان محذوراً.

وهذا عمومٌ وشمول، فإنّ كلمة: (الذين) وضعتها العرب لتفيد معنى

الشمول.

فهذه الآية عامة شاملة لكل من يُدعى من دون الله بأنه لا يملك كشف الضر ولا تحويل الحال ولا تلبية الحوائج واستجابة الدعوات.

بل إن هؤلاء الصالحين، والأنبياء المرسلين، والملائكة المقربين، عبادُ الله مفتقرين، يرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف يُدْعَوْنَ مع الله؟!!

فدين الرسل والأنبياء أن لا يدعوا إلا الله.

وأما دين المشركين فإنه مركَّبٌ من أمرين:

أولها: نداء الغائبين والأموات الذين هم أعلى منهم منزلةً ورتبة.

وثانيها: طلب الحوائج منهم.

وهذان الأمران يسمّيان في لسان العرب وفي الشرع بل عند كل الناس،

يسمّى: دعاءً.

كقول النصراني لمريم: "اشفعي لنا عند الإله".

وكقول مشركي العرب للعزى لما أتاها خالد بن الوليد ليهدم أصنامهم:

أَيَا عَزُّ شُدِّي شِدَّةَ لَا شَوَى لَهَا * عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقَنَاعَ وَشَمَّرِي

أَيَا عَزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا * فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصَرِّي

فجعل خالد يهدم أصنامهم ويعلو بالسيف قائلاً:

يا عَزَّى كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

فدعاء غير الله هو من عمل المشركين.

وذلك من الكفر والشرك العظيم، وقد دلّ على ذلك أدلة كثيرة ومن كثرة

هذه الأدلة قد جعلها علماء الإسلام على أنواع:

فمنها: الأدلة التي جاءت بوصف دعاء غير الله بالشرك والكفر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ

رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ إن تدعوهم لا

يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا

ينبئكم مثل خير﴾.

فدعاء من لا يملك، ودعاء الميت الذي لا يسمع، ودعاء الميت الذي يسمع -

لأنه قد ثبت أن بعض الأموات قد يسمعون في بعض المواطن - لكن دعاء الأموات

بجميع أنواعهم وأصنافهم، كلّ ذلك سَمَاءُ اللَّهِ شركاً.

ومن الأدلة: الأدلة التي جاء فيها أنّ الدعاء عبادة.

ووصفها بالعبادة يعني أن من جعلها لغير الله فقد عبد غير الله، ومن عبد غير الله فقد كفر وأشرك، ومنه قول إبراهيم لقومه: ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي﴾، ثم بين الله أنّ دعاءهم آلهتهم عبادة من العبادات حيث قال بعدها: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾.

ومن الأدلة: الأدلة التي فيها أنّ دعاء غير الله ظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾، والظلم هو الشرك، والدليل قوله تعالى: ﴿إنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

ومن الأدلة على أن دعاء غير الله ممنوع: الأدلة التي فيها أنّ دعاء غير الله ضلال، بل أكبر الضلال، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله﴾، يعني لا أحد أضلّ منه.

ومن الأدلة: الأدلة التي فيها أنّ دعاء غير الله من أسباب الهلاك، كما قال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾.

فهل بعد ذلك ندعو الميت ولا ندعو الله وحده؟!!

قال فلان: فهل معنى هذا أنه لا يجوز أن أطلب من الأموات الحوائج؟

نعم رحمك ربي، فلو كان دعاء الأموات حقاً ونافعاً لكان أول من يسبقنا للحق والخير هم الأنبياء والرسل.

ألم تسمع إلى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾.
مع أن رسلاً قبله قد ماتوا.

وكذا قول نوح عليه السلام: ﴿فَدْعَا رَبِّي أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾.

قال فلان: لكن نيتي في دعاء الأموات طيبة فأنا أريد أن يشفعوا لي عند الله
فهل في ذلك خطأ؟

الجواب رحمك الله أن تعلم النية وحدها لا تكفي، ألم تسمع لقول الله:
﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾.

بل اسمع لقول الله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

يعني لم يكونوا يتعبّدون لهم بالدعاء والذبح والصلاة وغيرها من العبادات
إلا لتقرّبهم عند الله وتشفع لهم.

فهم أرادوا القرب من الله الذي يعظّمونه ويعتقدون أنه خلقهم ورزقهم وأنه ربّهم، لكنهم أخطأوا في الطريق وكذبوا على الله إذ زعموا أنه لا يوصل إليه إلا بدعاء المخلوق وعبادته وجعله وسيطاً بين الله وبين خلقه.

ولذا قال تعالى بعدها مبيناً حكم من يدعو الأولياء والصالحين لتقرّبه إلى الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

قال فلان: لكنني لا أعبد هذا الميت والصالح ولا أرضى بالشرك!

فكيف تنسب لي إذا قلت: (يا حسين أغثني) و(يا رسول الله اشفع لي واغفر لي)، كيف تجعلني مشركاً وعبداً لهم؟

والجواب: أن تعلم رحمك الله أن العبرة ليست في الألفاظ فحسب، فإن النبي قد أخبرنا عن أقوام يشربون الخمر ويسمّونها بغير اسمها.

بل قال تعالى عن المشركين: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

بل قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فقال أحدهم: "إنا لسنا نعبدهم".

فنفى أنهم كانوا يعبدون الصالحين.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم أزال عنه الشبهة ليبين أنه لا يلزم أن يقرّ المرء بنفسه بأنه يعبد المخلوق بل يكفي أن يجعل له عبادةً فيتحقق فيه الوصف.
فقال له: "أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟".

فقال: "بلى".

فقال النبي: "فتلك عبادتهم".

فكذا يقال رحمك الله: أليس الدعاء عبادة؟!

أليس قول: (يا حسين ارزقني) و(يا رسول الله اشفع لي) وقد ماتوا، مشابها
لقول النصارى لمريم عليها السلام وقد ماتت: (اشفعي لنا عند الإله)؟!
أليس من جعل العبادة لغير الله فقد عبد غير الله؟!

أصحّ من غفلتك يا فلان وارجع إلى رشدك رحمك الله فإنّ دعاء الأموات
عبادة من العبادات كما سبق، والعبادة لا يجوز جعلها لغير الله.

وأن من يعبد الميت لا يفيد أنه يقول إنني لا أعبد، كما أن من ينفي فعلاً عنه
لا ينفعه؛ ما دام متلبساً بهذا الفعل، فالعبرة بالمعاني والكلمات والمباني.

قال فلان: لكن الأموات يسمعون ويملكون إجابة الدعاء؟

والجواب: أن هذا كلام فيه حق وباطل، فإن الميت لا يملك حتى ملابسه،

بل لو لم يكن الميت محتاجاً لما احتاج لدفنه فكيف يملك الإجابة؟!

بل لا أحد يجيب الدعاء إلا الله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾.

والأصل في الميت أنه لا يسمعنا، وقد دلت الأدلة على سماع الميت في أحوال

كما سبق، كسماعه لصوت النعال بعد أن يدفنه.

ودعاء الميت الذي لا يسمع، والميت الذي يسمع: كله ممنوع محظور.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

حتى أزهد شيء لا يملكونه!

وهذا أسلوب عموم وشمول لكل من يُدعى مع الله، فكيف تطلب الحاجة

ممن لا يملكها؟!

أليس هذا سفهاً ونقصاً في العقل؟!

ثم قال تعالى بعدها: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا

استجابوا لكم﴾.

فبيّن دعاء النوعين، وبيّن أنّ كل النوعين لا يستجيب.

ثم بيّن حكم من يدعو الميت الذي لا يسمع والذي يسمع فقال: ﴿وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ﴾.

فدعاء الأموات شرك، ويوم القيامة يكون هذا الولي الصالح عدوًّا للمدعو.

بل دعاء الأموات أضلّ الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾، يعني لا أحد

أضلّ منه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم

كافرين﴾.

تأمل هذه الآية رحمك ربي وتدبرها فإنّ فيها جمعاً لما سبق من فضل الله وحده.

قال فلان: لكنني جرّبت دعاء الأموات فحصلت الحوائج لي!

والجواب: أن تعلم رحمك الله أنّك مخلوقٌ لعبادة الله، خاضعٌ لأمره ونهيه،

وقد تقدّم لك النهي عن دعاء غير الله.

فاسأل الله أن يهديك دائماً فنحن فقراء محتاجون لله، والشرك قد نقع فيه
ونحن لا نشعر والعياذ بالله وما أقرب ذلك.

ثم اعلم رحمك ربي: أن الله قد يبتلي الشخص بحصول ما يطلبه ويحرم
الوسيلة لهذا المطلوب عن علمٍ منه وحكمةٍ بالغة.

ألم تعلم بأن السحر كفرٌ وشرٌ؟!

ومع ذلك فإنه يحصل فيه مطلوب الساحر من الضرر والصرف والعطف،
فهل يعني ذلك إباحة السحر؟

ألم تسمع لقول الله عن السحرة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾.

فحصول النتيجة المطلوبة بسببٍ ممنوع: لا يجعل هذا السبب مطلوباً
ومشروعاً.

وإلا فإن الغنى والمال يحصل بالسرقة.

وسعادة بعض الناس تحصل بأن يشتموا غيرهم.

فكيف إذا عرفت بأن حصول الحوائج ليس من أسبابه دعاء الأموات، لا شرعاً ولا قدراً.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾.

فالميت لا يستجيب الدعاء لأنه لا يملك شيئاً، والميت كذلك غافلٌ عن دعاء من يدعوه.

فدعاء من هذا حاله من أضلّ الضلال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وكلمة (الذين) تفيد العموم والشمول، فيدخل فيه كل من سوى الله.

فكل من سوى الله عبادٌ فكيف يُدعى العبد الذي لا يملك ولا يستجيب الدعاء ويجلب الحوائج ويُترك الربّ السيّد المالك؟! سبحانه الله عما يصفون.

وقال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

قطمير﴾.

فدعاء الله المالك لكل شيء هو السبب والوسيلة لإجابة دعائنا بحوائجنا.

فتبين بذلك رحمك الله أنّ الأسباب على ثلاثة أنواع:

-سبب كوني وقد أمر به في الدين، وهذا مطلوب ومرغوب، كدعاء الله.

-وسبب كوني لكنه ممنوع شرعاً، كالسرقة والسحر ونحوها.

-وسبب وهمي لم يثبت لا في الدنيا قدراً ولا في الشرع أمراً وخبراً، وهذا سفة

في العقل، ونقص في الدين وجناية في حق أهل الاختصاص من العلوم النافعة
الدنيوية.

كدعاء الأموات، ووضع التهائم لشفاء الأمراض، ورش الملح على الباب

لدفع العين، ورؤية الغراب والقط الأسود في حصول الشر ووقوعه.

فهذه كلها خرافات وخزعבלات ومن تسلط الشياطين وهدم للعلم والعقل

والمعرفة.

قال فلان: لكنني أحب هذا الولي الصالح والنبى المرسل فكيف أعذب

بذلك؟

والجواب: رحمك الله أن المحبة لها حدود.

وكل أمر فيه من يغلو فيه وفيه من يجفو عنه.

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾، وسيأتي في هذه الأمة من يتجاوز الحد

ويعبد الصالحين والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم".

فالمرء قد يعذب بحبه للصالحين والعياذ بالله، فإن من أهل النار من كانوا

يحبون الصالحين بل يحبون الله.

لكنهم تجاوزوا الحد في المحبة حتى وصلت محبتهم للصالحين إلى جعل

العبادات لهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾، ثم فسر

هذه الندية والعبادة بقوله: ﴿يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾.

ثم بين عاقبتهم والعياذ بالله: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن

القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾.

قال فلان: هل لي من توبة مما سبق؟

نعم رحمك ربّي فإن الله غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعها لمن تاب منها،

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾.

فتب إلى الله واترك دعاء الأموات وادعوا الله وحده فهذا هو دين الأنبياء

والمرسلين، ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾.

تم بفضل الله ليلة 12 صفر عام 1448

في الكويت أعزها الله بالإسلام والسنة

أسأل الله بمنّته وكرمه أن ينفع بهذه الأوراق ويجعلها بركة وخيراً على أمة محمد

وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين